

قصص إلهامية للأطفال

نَلَّاهُ فِي اللَّامِخَانِ

تأليف

محمد بن عبد الرحمن

مكتبة
التَّوْبَاتِ

٢ مكتبة التوبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ

٣ نهضة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجنابز، محمد منير

ثلاثة في الامتحان... الرياض

٣٦ص، ١٧×٢٤سم... (سلسلة قصص إسلامية للأطفال)

ردمك: ٥ - ٥٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

١ - القصص الإسلامية ٢ - قصص الأطفال ١ - العنوان

ب - السلسلة

٢٠/٣٨٢١

ديوي ٨١٣،٠٨٨

رقم الإبداع: ٢٠/٣٨٢١

ردمك: ٥ - ٥٠ - ٧٠٤ - ٩٩٦٠

جميع حقوق الطبع محفوظة
طبعة جريدة منقحة

الرياض - المملكة العربية السعودية - شارع جرير

هاتف ٤٧٦٣٤٢١ فاكس ٤٧٧٤٨٦٢ ص.ب ١٨٢٩٠ الرمز ١١٤١٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللقاء:

اجْتَمَعَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِنْ ذَوِي الْعَاهَاتِ تَحْتَ

شَجَرَةٍ ثَوْتٍ كَبِيرَةٍ، الْأَوَّلُ أَفْرَعُ وَاسْمُهُ أَنْيْسُ،

وَالثَّانِي أَبْرَصُ وَاسْمُهُ بَذْرٌ، وَالثَّالِثُ أَعْمَى وَاسْمُهُ

سَعِيدٌ..

وَكَانَ وَقْتُ الْاجْتِمَاعِ عَادَةً بَعْدَ الْعَصْرِ،

يَجْتَمِعُ فِيهِ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ، وَيَتَبَاخَثُونَ فِي أُمُورِ

الدُّنْيَا، وَيَتَبَادَلُونَ الْحَدِيثَ حَوْلَ مَا يَجْرِي مِنْ
أَحْدَاثٍ تَشْغُلُ بَالِ النَّاسِ، ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ إِلَى
الْحَدِيثِ عَنْ مُشْكِلَاتِهِمُ الْخَاصَّةِ، فَيَقْصُرُ كُلُّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى زَمِيلِيهِ مَا حَصَلَ لَهُ فِي هَذَا
الْيَوْمِ مِنْ أُمُورٍ وَنُكَاتٍ وَمُفَاجَآتٍ، مِنْهَا الْجَادُّ
وَمِنْهَا الْمُضْحِكُ، وَكَانُوا يُقَهِّقُهُونَ مَعَ سَمَاعِ كُلِّ
نُكْتَةٍ تُطْلَقُ، أَوْ مُفَاجَأَةٍ تُثَارُ، فَيَرْتَفِعُ صِيَاحُهُمْ
وَتَعْلُو ضِحِكَاتُهُمْ.

هَكَذَا كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمْ تِلْكَ السُّوَيْعَاتُ
الَّتِي كَانُوا يَلْتَقُونَ فِيهَا تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ

يَتَفَرَّقُونَ بَعْدَ هَذَا اللَّقَاءِ لِيُجَدِّدُوهُ فِي يَوْمٍ تَالٍ.

وَفِي ذَاتِ يَوْمٍ مِنْ أَوَائِلِ أَيَّامِ فَضْلِ

الصَّيْفِ، وَفِي أَثْنَاءِ نُضْجِ الثُّوتِ، التَّقَى الْجَمِيعُ

كَعَادَتِهِمْ وَتَبَادَلُوا الْأَحَادِيثَ الْمُسَلِّيَةَ وَالضَّحِكَاتِ

الصَّاخِبَةِ، وَبَدَأَ كُلُّ مَنْ الْأَفْرَعِ وَالْأَبْرَصِ فِي غَايَةِ

مِنَ السُّرُورِ وَالْإِنْشِرَاحِ، فَقَدْ كَانَا يَأْكُلَانِ مِنْ

حَبَّاتِ الثُّوتِ الْمُتَسَاقِطَةِ قُرْبَهُمَا بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ،

وَهُمَا يَضْحَكَانِ، وَالْأَعْمَى الْمِسْكِينُ يَضْحَكُ

مَعَهُمَا دُونَ أَنْ يَذْرِيَ سَبَبًا لِلضَّحِكِ أَخِيَانًا، بَلْ

كَانَ يُجَامِلُ صَدِيقَيْهِ وَيَضْحَكُ مِثْلَهُمَا، وَصَدِيقَاهُ

يَزِيدَانِ فِي الضَّحِكِ مِنْ هَذَا الْمَوْقِفِ، إِنَّهُمَا

يَأْكُلَانِ وَالْأَعْمَى لَا يَأْكُلُ، لِأَنَّهُ لَا يَرَى مَا

حَوْلَهُ، وَأَرَادَا أَنْ يَفْتَحِرَا عَلَى الْأَعْمَى، فَقَالَ

الْأَبْرَصُ: حَظِّي الْيَوْمَ كَبِيرٌ، وَقَالَ الْأَقْرَعُ: وَأَنَا

كَذَلِكَ يَا صَدِيقِي، ثُمَّ تَغَامَزَا عَلَى الْأَعْمَى

وَضَحِكَا، وَضَحِكَ الْأَعْمَى مَعَهُمَا وَهُوَ رَافِعُ

الرَّأْسِ لِلأَعْلَى دُونَ أَنْ يَذْرِيَ هَذِهِ الْمَرَّةَ سَبَبَ

ضَحِكِهِمَا أَيْضًا، فَسَقَطَتْ فِي فِيهِ^(١) حَبَّةٌ تُوتِ

كَبِيرَةً، فَمَضَعَهَا وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ الرِّزَاقِ،

(١) فِي فِيهِ: أَيِ فِي فَمِهِ.

مَا أَلَذَّ طَعْمَ الثُّوتِ، ! فَحَسَدَهُ الْأَقْرَعُ، وَقَالَ لَهُ:

لَقَدْ رُزِقْتَ حَبَّةَ ثُوتٍ دُونَ أَنْ تَسْعَى لَهَا، إِنَّكَ

لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، لَيْتَهُ يَأْتِينَا مَا نَتَمَنَّاهُ دَوْمًا، وَقَالَ

الْأَقْرَعُ: لَيْتَ مَا نَتَمَنَّاهُ يَأْتِينَا سَهْلًا مِثْلَ حَبَّةِ

الثُّوتِ الَّتِي سَقَطَتْ فِي فَيْكَ دُونَ أَنْ تَسْعَى لَهَا.

قَالَ الْأَعْمَى: إِنَّكُمْ تَحْلُمُونَ، أَمِنْ أَجْلِ

حَبَّةِ ثُوتٍ رَزَقَنِي اللَّهُ إِيَّاهَا ذَهَبَتْ بِكُمْ أَخْلَامُكُمْ

وَأُمْنِيَّاتُكُمْ بَعِيدًا؟! لِنَفْتَرِضَ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا

أُمْنِيَّةٌ، فَمَاذَا سَيَتَمَنَّى يَا تُرَى؟

قَالَ أَنِيسٌ - بَعْدَ أَنْ صَحَّحَ جِلْسَتَهُ - أُمْنِيَّتِي

أَنْ يَنْبُتَ شَعْرِي، وَأُزْرَقَ وَلَوْ نَاقَةً وَاحِدَةً،

أَتَغْدَى مِنْ لَبَنِهَا إِذَا جِغْتُ، وَتَحْمِلُنِي إِذَا

سَافَرْتُ. ثُمَّ تَبِعَهُ بَذْرٌ، وَقَالَ: وَأَنَا أَتَمَنَّى أَنْ

أُشْفَى مِنْ بَرَصِي، وَأُزْرَقَ وَلَوْ بَقَرَةً وَاحِدَةً، فَإِنِّي

أَحِبُّ حَلِيبَ الْبَقَرِ، ثُمَّ قَالَ سَعِيدٌ: أَنَا قَنُوعٌ

أَتَمَنَّى أَنْ يُرَدَّ لِي بَصْرِي، لِأُبْصِرَ طَرِيقِي،

وَأُزْرَقَ وَلَوْ شَاةً وَاحِدَةً، فَأَنَا أَحِبُّ حَلِيبَ الْغَنَمِ.

وَقَالَ بَذْرٌ: مَا لِهَؤُلَاءِ الْأَغْنِيَاءِ لَا يُعْطُونَنَا

مِنْ زَكَاةٍ أَمْوَالِهِمْ شَيْئاً؟ وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ غَنِيًّا

لَتَصَدَّقْتُ حَتَّى أَغْنِيَ الْفُقَرَاءَ. وَتَكَلَّمَ أَيْنِسٌ بِمِثْلِ

مَا تَكَلَّمَ بِهِ الْأَبْرَصُ، وَكَذَلِكَ تَكَلَّمَ الْأَعْمَى..

ثُمَّ غَادَرُوا مَجْلِسَهُمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ، وَهُمْ

مُنْتَشُونَ سُعْدَاءَ بِمَا تَمَنَّوْا مِنْ أُمْنِيَّاتٍ.

الْأَمَانِي تَتَحَقَّقُ:

وَفِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ التَّالِي، قُبَيْلَ طُلُوعِ

الشَّمْسِ، طَرَقَ طَارِقُ بَابِ أُنَيْسِ الْأَقْرَعِ، فَلَمَّا فَتَحَ

أُنَيْسُ الْبَابَ، دَفَعَ إِلَيْهِ الطَّارِقُ نَاقَةً عَشْرَاءَ^(١) وَقَالَ:

هَذِهِ هَدِيَّةٌ لَكَ، فَفَرِحَ بِهَا أُنَيْسٌ كَثِيرًا، وَقَالَ: هَذِهِ

أُمْنِيَّتِي، ثُمَّ مَسَحَ الطَّارِقُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِ أُنَيْسِ

(١) الناقة العشراء: التي حملت وقرب وقت ولادتها.

الْأَقْرَعُ، وَابْتَعَدَ حَتَّى غَابَ عَن بَصَرِ أُنَيْسٍ، وَذَهَبَ

الطَّارِقُ إِلَى بَيْتِ بَذْرٍ، وَقَرَعَ بَابَهُ فَلَمَّا فَتَحَ بَذْرُ

الْبَابِ، دَفَعَ إِلَيْهِ الطَّارِقُ بَقَرَةً عَشْرَاءَ وَقَالَ: هَذِهِ

أُمْنِيَّتُكَ، فَفَرَحَ بَذْرٌ وَاسْتَلَمَهَا وَهِيَ تَخُورُ بِصَوْتِ

مُتَقَطِّعٍ، وَتَهْزُ رَأْسَهَا، وَتُدَاعِبُ بِلِسَانِهَا الطَّوِيلِ يَدَ

بَذْرٍ، فَازْدَادَ بِهَا فَرَحًا، لِأَنَّهَا حَقِيقَةٌ لَا حُلْمَ، ثُمَّ

إِنَّ الطَّارِقَ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى جِلْدِ بَذْرٍ وَابْتَعَدَ حَتَّى

غَابَ عَنِ الْأَبْصَارِ. ثُمَّ ذَهَبَ الطَّارِقُ إِلَى سَعِيدٍ،

وَقَرَعَ بَابَهُ، فَتَلَمَّسَ سَعِيدٌ طَرِيقَهُ إِلَى الْبَابِ وَفَتَحَهُ،

وَهُوَ يَقُولُ: مَنْ الطَّارِقُ؟ فَوَضَعَ الطَّارِقُ بَيْنَ يَدَيْ

سَعِيدٍ شَاةٌ سَمِيْنَةٌ عَشْرَاءُ، لَهَا ثَغَاءٌ، وَقَالَ لَهُ: هَذِهِ

الشَّاةُ هَدِيَّةٌ لَكَ، فَفَرِحَ بِهَا الْأَعْمَى كَثِيْرًا، وَشَكَرَ

لِلطَّارِقِ صَنِيعَهُ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ: هَذِهِ وَاللَّهِ أُمْنِيَّتِي،

ثُمَّ إِنَّ الطَّارِقَ مَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى عَيْنَيَّ سَعِيدٍ، ثُمَّ

ابْتَعَدَ. وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ، فَإِذَا بِالْأَقْرَعِ يَنْبُتُ شَعْرَهُ،

وَإِذَا بِالْأَبْرَصِ يُشْفَى مِنْ مَرَضِهِ، وَإِذَا بِالْأَعْمَى

يُبْصِرُ طَرِيقَهُ عَلَى أَحْسَنِ مَا يَكُونُ الْبَصَرُ حِدَّةً

وَتَجَلِيَّةً لِلْأَشْيَاءِ، لَقَدْ فَرِحَ أُنَيْسٌ كَثِيْرًا بِشَعْرِهِ

الْجَمِيلِ، وَاقْتَنَى لِذَلِكَ مِشْطًا حَتَّى يُسَرِّحَ شَعْرَهُ.

وَكَانَ فَرَحُ بَذْرِ لَا يَقِلُّ عَنْ فَرَحِ أُنَيْسٍ وَسَعِيدٍ، فَقَدْ

شَفِي مِنْ مَرَضِهِ الْمُنْفَرِ، وَأَصْبَحَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخَالِطَ
النَّاسَ الَّذِينَ هَجَرُوهُ وَابْتَعَدُوا عَنْهُ، وَكَذَلِكَ الْأَعْمَى
أَبْصَرَ كُلَّ شَيْءٍ، الْحَدَائِقَ الْجَمِيلَةَ، وَالطُّيُورَ الْمُلوَّنةَ
المُغَرَّدةَ، وَالنَّاسَ، لَقَدْ رَأَى النُّورَ بَعْدَ أَنْ كَانَ
يَعِيشُ فِي الظَّلَامِ.

وَمَضَتْ الْأَيَّامُ، وَأَصْبَحَ لَأَنيسٍ قَطِيعٌ مِنَ
الْإِبِلِ يَرْعَاهُ وَيَتَفَقَّدُهُ كُلُّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ، وَأَصْبَحَ
لِبَدْرِ قَطِيعٌ مِنَ الْأَبْقَارِ الْحَلُوبَةِ، فَكَانَ لَا يَطْمَئِنُّ
بَالُهُ عَلَيْهَا إِلَّا حِينَ يَسْمَعُ أَصْوَاتَهَا مِنْ بَعِيدٍ،
وَهِيَ عَائِدَةٌ إِلَيْهِ مِنَ الْمَرْعَى، وَكَذَلِكَ سَعِيدٌ،

الَّذِي كَبُرَ قَطِيعُ أَغْنَامِهِ فَمَلَأَتْ بِشُغَائِهَا السَّهْلَ
وَالْوَادِي، وَأَصْبَحَ الثَّلَاثَةُ عَلَى حَالٍ مِنَ الْغِنَى
كَبِيرَةٍ، وَابْتَعَدَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي جِهَةٍ مِنَ الْبَرَارِي،
وَارْزَدَاتٌ مَعَهُمُ الْأَمْوَالُ، وَأَصْبَحَ لَهُمُ الْخَدْمُ
وَالْعُمَّالُ، وَاشْتَرَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بُسْتَانًا زَرَعَهَا
بِطَيِّبِ الثَّمَارِ، وَأَصْبَحُوا مِنَ الْأَثْرِيَاءِ الْمَشْهُورِينَ
بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ.

الامتحان:

وفي ذاتِ يومٍ، كَانَ أَنَيْسٌ يَجْلِسُ كَعَادَتِهِ
كُلَّ صَبَاحٍ تَحْتَ مِظْلَةٍ كَبِيرَةٍ، نَصَبَهَا فَوْقَ رَابِيَةِ

مُرْتَفَعَةً مُطَلَّةً عَلَى السُّهُولِ الْفَسِيحَةِ، وَقَدْ لَبَسَ
أَجْمَلَ الثِّيَابِ وَأَخْلَاهَا، وَفَرَشَ مَجْلِسَهُ بِأَجْمَلِ
الْفُرُشِ وَالْمَسَانِدِ، يُدَاعِبُ النَّسِيمُ شَعْرَهُ الْفَاحِمَ
الْجَمِيلَ، وَهُوَ يَزْهُو بِهِ وَيَمُرُّ عَلَيْهِ الْمِشْطُ
الْفِضِّيُّ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ، لِأَنَّهُ يَعُدُّ نَفْسَهُ
صَاحِبَ أَجْمَلِ شَعْرِ فَوْقَ الْأَرْضِ، يَسْعَى بَيْنَ
يَدَيْهِ الْخَدَمُ، يَأْتُونَهُ بِأَطْيَبِ الطَّعَامِ وَالَّذِ
الشَّرَابِ، يَنْظُرُ بِإِعْجَابٍ وَزْهُوٍ دُونَ كُلِّ إِلَى
إِبْلِهِ السَّارِحَةِ فِي الْبَرَارِيِّ، يُتَابِعُهَا بِنَظَرَاتِهِ وَهُوَ
يَتَمَنَّى مِنْهَا الْمَزِيدَ، يَتَمَنَّى لَوْ تَمَلَّأَ كُلُّ سُهُولٍ

الْمَعْمُورَةَ وَأَوْدِيَّتَهَا، وَقَدْ أَضَحَّتْ بِكَثْرَتِهَا أَكْبَرَ

قَطِيعٍ فِي الْمَعْمُورَةِ، وَأَصْبَحَ أَنْيْسُ صَاحِبَ أَكْبَرَ

قَطِيعٍ فِي الْبَادِيَةِ، وَصَاحِبَ أَجْمَلِ شَعْرِ كَذَلِكَ.

وَبَيْنَمَا كَانَ أَنْيْسُ مُسْتَرْسِلاً فِي تَأْمُلَاتِهِ غَارِقاً

فِي تَفْكِيرِهِ، مُتَّصِوْراً الْمَزِيدَ مِنَ الْإِبِلِ الَّتِي

سَيَمْتَلِكُهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، إِذَا بِقَادِمٍ يَقْطَعُ عَلَيْهِ

تَأْمُلَاتِهِ، وَهَذَا الْقَادِمُ أَقْرَعُ فَقِيرٌ، فَسَلَّمَ عَلَى

أَنْيْسٍ، لَكِنَّ أَنْيساً لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ تَكْبِيراً

وَعُجْباً، وَاسْتِهْتَاراً بِهَذَا الْقَادِمِ الْأَقْرَعِ الْفَقِيرِ،

بَلْ زَجَرَهُ بِعُنْفٍ، وَقَالَ لَهُ: ابْتَعدْ عَنِ الْفِرَاشِ،

وَلَا تُؤْذِنِي بِمَنْظَرِ قَرْعَتِكَ الْبَغِضِ، مَاذَا تُرِيدُ
مِنِّْي؟ وَكَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَى الظُّهُورِ أَمَامِي بِهَذَا
الشَّكْلِ الْمَهِينِ؟ لَقَدْ قَطَعْتَ عَلَيَّ تَأْمُلَاتِي
وَتَفَكِيرِي فِي شُؤُونِي.

قَالَ الْفَقِيرُ: لَا تُؤَاخِذْنِي أَيُّهَا السَّيِّدُ، إِنِّي
أَقْرَعُ فَقِيرٌ كَمَا تَرَى، أَتَيْتُ أَطْلُبُ مِنْكَ مُسَاعَدَةً
أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى مُوَاصَلَةِ الْحَيَاةِ. فَقَالَ أُنَيْسٌ:
تَطْلُبُ مِنِّْي! اذْهَبْ مِنْ أَمَامِي وَلَا تُرْنِي وَجْهَكَ
أَبَدًا، وَإِلَّا اسْتَدْعَيْتُ الْخَادِمَ لِتَأْدِيبِكَ.

قَالَ الْفَقِيرُ: أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَغْنَاكَ وَكَسَاكَ

الشَّعْرَ الْجَمِيلَ، أَنْ تُعْطِيَنِي وَلَوْ نَاقَةً وَاحِدَةً مِنْ
مَالِ اللَّهِ.

قَالَ أَيْنَسٌ: مَاذَا تَقُولُ؟! وَبِمَنْ تَسْأَلُنِي! إِنَّ
هَذَا الْقَطِيعَ الَّذِي تَرَاهُ أَمَامَكَ أَتَانِي بِسَبَبِ تَعْبِي
وَسَهْرِي عَلَيْهِ، إِنَّهُ نَتِيجَةُ كَدِّي وَعَرَقِ جَبِينِي،
وَشَعْرِي هَذَا الَّذِي تَرَاهُ، إِنَّهُ جَمِيلٌ مِنْذُ صِغَرِي
فَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَقْرَعُ الرَّأْسِ، أَوْ فَقِيرًا فِي يَوْمٍ مِنْ
الْأَيَّامِ أَبَدًا.. أَبَدًا، اذْهَبْ يَا طَوِيلَ اللِّسَانِ
وَابْتَغِ عَنِّي، وَاطْلُبِ الرِّزْقَ مِنْ غَيْرِي، فَأَنَا
مَشْغُولٌ الْآنَ وَلَا أُعْطِي الْمُسَوِّلِينَ.

قَالَ الْفَقِيرُ: إِنْ كُنْتُ كَاذِبًا فِيمَا تَقُولُ،
فَإِنِّي أَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُعِيدَكَ إِلَى مَا كُنْتُ
عَلَيْهِ، ثُمَّ تَرَكَهُ وَانْصَرَفَ.

وَبَيْنَمَا كَانَ بَذْرُ (الْأَبْرَصُ سَابِقًا) يَجْلِسُ فِي
بُسْتَانِهِ تَحْتَ شَجَرَةٍ تَيْنٍ كَبِيرَةٍ، تَتَدَلَّى مِنْهَا ثَمَارُ
التَيْنِ الشَّهِيَّةِ الْحُلُوءِ النَّاصِجَةِ، مِثْلَ نُجُومِ السَّمَاءِ
فِي لَيْلَةٍ صَافِيَةٍ لَا قَمَرٍ فِيهَا وَلَا غُيُومٍ، وَأَمَامَ بَذْرِ
أَطْبَاقٍ مِنْ فِضَّةٍ، مَمْلُوءَةٌ بِأَشْهُى الثَّمَارِ، وَقَدْ أَسْنَدَ
ذِرَاعَهُ عَلَى أَرِيكَةٍ حَرِيرِيَّةٍ خَضِرَاءَ، وَهُنَاكَ عَدَدُ
مِنَ الْأَرَائِكِ الْأُخْرَى، تَحْفُهُ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ،

يَأْتِيهِ النَّسِيمُ الْغَضُّ لِيَمْسَحَ وَجْهَهُ وَيُدَاعِبَ لِحْيَتَهُ،

فَكَانَ يَتَنَاوَلُ بَعْضَ الثَّمَارِ وَيَقْضِمُهَا بَيْنَ حِينٍ

وَأَخَرَ، وَهُوَ يَنْظُرُ بِإِعْجَابٍ إِلَى أَبْقَارِهِ الزَّاهِيَةِ

الْأَلْوَانِ، الْكَبِيرَةِ الْأَثْدَاءِ الَّتِي تَخُورُ بِلا انْقِطَاعٍ،

كَأَنَّهَا قَدْ تَنَاوَبَتْ بِهَذَا الْخُورِ، لِيَبْقَى صَوْتُهَا دَائِمًا

مُضْدَرَّ بِهِجَةٍ وَفَرَحٍ لِصَاحِبِهَا بَذَرٍ، وَلِيَشْعُرَ بِأَنَّهُ

أَكْبَرُ مَالِكٍ لِقَطِيعِ الْأَبْقَارِ فِي بَلَدِهِ، وَأَنَّهُ صَاحِبُ

أَخْلَى جِلْدٍ أَيْضًا، لَقَدْ جَلَسَ بِكِبَرٍ وَزَهْوٍ، وَهُوَ

يَزْتَدِي قَطِيفَةً حُمْرَاءَ مِنَ الْحَرِيرِ، قَدْ فُتِحَتْ

أَكْمَامُهَا مِنَ الْأَعْلَى، لِيَبْدُوَ مِنْ تَحْتِهَا عَضْدَاهُ

الْجَمِيلَانِ، وَفَتَحَ صَدْرَهَا وَوَشَّاهُ بِالذَّهَبِ، وَهُوَ

تَارَةً يَتَأَمَّلُ أَبْقَارَهُ، وَتَارَةً يَنْظُرُ بِإِعْجَابٍ إِلَى جِسْمِهِ

وَجِلْدِهِ، الَّذِي عَادَ لَهُ نَضَارُهُ، وَوَدَّعَ إِلَى غَيْرِ

رَجْعَةٍ ذَلِكَ الْبَرَصَ الْمُؤْذِيَّ الْمُتَفَرِّقَ، وَبَرَزَ بَيْنَ يَدَيْهِ

فَجَاءَ رَجُلٌ أَبْرَصُ رَثُ الثِّيَابِ، مُدَقِّعٌ مِنْ شِدَّةِ

الْفَقْرِ الَّذِي يَبْدُو فِي وَجْهِهِ الْأَصْفَرِ الشَّاحِبِ،

وَسَلَّمَ عَلَى بَذْرِ بَصَوْتٍ هَادِيٍّ مُعْتَدِلٍ، وَمَعَ

ذَلِكَ، فَإِنَّ بَذْرًا أُصِيبَ بِهَزَّةٍ وَازْتَجَافٍ مِنْ تِلْكَ

الْمُفَاجَأَةِ الَّتِي قَطَعَتْ عَلَيْهِ تَأَمُّلَهُ وَتَفَكُّيرَهُ فِي نَفْسِهِ

وَبَقَرَاتِهِ، وَنَظَرَ إِلَى الْفَقِيرِ الْأَبْرَصِ نَظْرَةً اخْتِقَارٍ

وَعَظَبٍ، وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، بَلْ صَرَخَ فِي

وَجْهِهِ، وَنَهَرَهُ لِتَجَرُّثِهِ فِي الدَّخُولِ عَلَيْهِ، وَمُفَاجَأَتِهِ

الَّتِي أَدَّتْ إِلَى ارْتِجَافِهِ بَغْتَةً، وَلَكِنَّ الْفَقِيرَ اعْتَذَرَ،

وَطَلَبَ مَنَحَهُ مُسَاعَدَةً تُعِينُهُ فِي التَّغْلِبِ عَلَى فَقْرِهِ،

فَهَبَّ فِي وَجْهِهِ صَائِحًا، وَقَالَ لَهُ: أَخْرُجْ مِنْ هُنَا

وَلَا تَقْتَرِبْ مِنِّي، أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُصَابُونَ بِالْبَرَصِ

أَنْاسٌ لَا تَسْتَحُونَ، تَدْخُلُونَ عَلَيْنَا بِأَشْكَالِكُمْ

الْقَذِرَةِ.. أَخْرُجْ مِنْ هُنَا، وَإِلَّا أَوْسَعْتُكَ ضَرْبًا

بِهَذَا السَّوْطِ، وَأَرَادَ الْفَقِيرُ الْأَبْرَصُ أَنْ يُذَكِّرَهُ

بِمَاضِيهِ السَّابِقِ، وَمَرَضِهِ الْمُنْقَرِ، فَقَالَ: أَنَا أَبْرَصُ

فَقِيرٌ كَمَا تَرَانِي، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي عَافَاكَ مِنْ
بَرِّصِكَ، وَكَسَاكَ الْجِلْدَ الْجَمِيلَ، وَمَنَحَكَ الْمَالَ
الْوَفِيرَ، إِلَّا أَعْطَيْتَنِي بَقْرَةً وَاحِدَةً مِنْ مَالِ اللَّهِ
تَعَالَى، لِكَيْ أَتَنْفَعَ بِهَا.

فَقَالَ لَهُ بَدْرٌ: مَاذَا تَقُولُ...؟ وَبِمَنْ تَسْأَلُنِي
يَا طَوِيلَ اللِّسَانِ؟. إِنَّ هَذَا الْقَطِيعَ الَّذِي تَرَاهُ،
نَمَّا بِجَهْدِي وَعَرَقِ جَبِينِي، وَأَنَا لَمْ أَكُنْ فِي يَوْمٍ
مِنَ الْأَيَّامِ كَمَا تَدَّعِي، اذْهَبْ مِنْ أَمَامِي أَيُّهَا
الْكُسُولُ الْمُتَوَاكِِلُ، فَأَنَا مَشْغُولٌ الْآنَ.

قَالَ الْفَقِيرُ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فِيمَا تَدَّعِي فَإِنِّي

أَزْجُو مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُعِينَكَ إِلَى مَا كُنْتَ
عَلَيْهِ. ثُمَّ غَادَرَ الْبُسْتَانَ وَانْصَرَفَ.

سَعِيدٌ يَنْجُحُ فِي الْأَمْتِحَانِ:

كَانَ سَعِيدٌ (الْأَعْمَى سَابِقاً) جَالِساً فِي
خَيْمَتِهِ الْكَبِيرَةِ، وَأَمَامَهُ دِلَالُ الْقَهْوَةِ الْفَاخِرَةِ
الْمُعَدَّةِ لِكُلِّ قَادِمٍ، وَنِيرَانُهُ الْمُؤَجَّجَةُ الْجَاهِزَةُ
لِاسْتِقْبَالِ الضُّيُوفِ وَإِكْرَامِهِمْ بِأَشْهَى الطَّعَامِ تَظْهَرُ
مِنْ بَعِيدٍ، وَكَانَ لِسَانُهُ رَطْباً بِذِكْرِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ
عَلَى مَا أَفَاءَ عَلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا
تُحْصَى، وَبَيْنَمَا هُوَ مُسْتَغْرِقٌ فِي تَدَبُّرِهِ وَتَفَكُّرِهِ

بِمَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِذَا بِهِ يَسْمَعُ
صَوْتَ عُكَّازٍ قُرْبَ خَيْمَتِهِ، وَدَبِيبَ أَقْدَامِ تَتَجَّهُ
نَحْوَهُ، فَنَظَرَ إِلَى جِهَةِ الصَّوْتِ، فَإِذَا أَعْمَى فَقِيرٌ
قَادِمٌ نَحْوَهُ يَتَعَثَّرُ فِي مَشْيَتِهِ، فَتَهَضُّ مِنْ مَجْلِسِهِ
وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَأَمْسَكَهُ بِيَدِهِ وَقَادَهُ إِلَى
خَيْمَتِهِ، وَأَجْلَسَهُ فِي صَدْرِ الْمَجْلِسِ عَلَى فِرَاشِهِ،
وَرَحَّبَ بِهِ أَجْمَلَ تَرْجِيْبٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ عَنْ حَاجَتِهِ
وَسَبَبِ قُدُومِهِ، فَقَالَ الْأَعْمَى: أَنَا فَقِيرٌ وَأَعْمَى
كَمَا تَرَى، دَفَعْتَنِي إِلَيْكَ الْحَاجَّةُ.

قَالَ سَعِيدٌ: وَمَا حَاجَتُكَ؟

قَالَ الْأَعْمَى: أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الْمَالَ

الكَثِيرَ، وَرَدَّ عَلَيْكَ الْبَصَرَ بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أَعْمَى

مِثْلِي، وَفَقِيرًا لَا تَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْمَالِ، إِلَّا

أَعْطَيْتَنِي شَاةً وَاحِدَةً مِنْ أَغْنَامِكَ، لِكَيْ أَنْتَفِعَ بِهَا

فِي مَعَاشِي.

قَالَ سَعِيدٌ: صَدَقْتَ فِيمَا نَطَقْتَ، لَقَدْ كُنْتُ

أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ بَصَرِي، وَكُنْتُ فَقِيرًا

فَأَغْنَانِي اللَّهُ، وَأَعْطَانِي الْمَالَ الْوَفِيرَ. ثُمَّ نَادَى

سَعِيدُ الرَّاعِي، وَقَالَ لَهُ: أَعْطِ أَخَانًا مَا شَاءَ مِنْ

الْأَغْنَامِ، فَإِنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ، وَقَادَ الرَّاعِي

الْأَعْمَى إِلَى الْأَغْنَامِ وَاَعْطَاهُ شَاةً بِنَاءً عَلَى طَلْبِهِ
لأنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنْ شَاةٍ، ثُمَّ دَعَا
لِسَعِيدٍ بِكُلِّ خَيْرٍ وَانْصَرَفَ.

الْفَدْمُ:

وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ سَرِيعًا، فَإِذَا صَاحِبُ الْإِبِلِ
يَعُودُ أَقْرَعَ فَقِيرًا كَمَا كَانَ، لَقَدْ جَاءَتْ عَلَى إِبِلِهِ
رِيحٌ سَمُومٌ، فَقَضَّتْ عَلَيْهَا جَمِيعًا، وَفِي طَرْفَةٍ
عَيْنٍ أَصْبَحَ فَقِيرًا مُغْدَمًا، فَبَكَى بُكَاءً شَدِيدًا
وَاعْتَمَ وَحَزِنَ، وَنَدَبَ حَظَّهُ الْعَاثِرَ التَّعَسَ، وَمِنْ
كَثْرَةِ هَمِّهِ وَحُزْنِهِ مَرِضَ، وَارْتَفَعَتْ حَرَارَةُ

جِسْمِهِ، فَأَضْحَى طَرِيحَ الْفِرَاشِ، وَرَاحَ فِي
غَيْبُوبَةٍ طَوِيلَةٍ، ثُمَّ صَحَا مِنْ رُقَادِهِ لِيَجِدَ شَعْرَهُ
قَدْ تَنَاطَرَعَ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ، فَتَحَسَّسَ رَأْسَهُ بِيَدِهِ
فَلَمْ يَجِدْ إِلَّا جِلْدًا نَاعِمًا مُتِنَنَ الرَّائِحَةِ، فَازْدَادَ
هَمُّهُ وَيَكِي أَسْفًا عَلَى مَا فَاتَ.

وَدَارَتْ الْآيَّامُ دَوْرَتَهَا عَلَى صَاحِبِ الْأَبْقَارِ،
فَاعْتَرَاهَا مَرَضٌ فِي حُلُوقِهَا، فَهَوَتْ صَرْعَى هَذَا
الْمَرَضِ، وَأَضْبَحَتْ جُشًا مُنْتِنَةً، وَانْقَلَبَ الْبُسْتَانُ
إِلَى مُسْتَنْقَعٍ لِلْأَمْرَاضِ، فَهَجَرَهَا الزُّرَّاعُ، وَبَدَّرَ
يُشَاهِدُ الْمَصَائِبَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا

لِإِنْقَازِ أَبْقَارِهِ، لَقَدْ فَاجَأَتْهُ بِتَلَاحُقِ مَوْتِهَا السَّرِيعِ،
ثُمَّ هَرَبَ مِنْ رَدَاءَةِ الْمِنْطَقَةِ وَانْتِشَارِ الْمَرَضِ
فِيهَا، وَآوَى إِلَى بَيْتِ خَرِبٍ بَعِيدٍ، وَأَضْحَى
فَقِيرًا لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ، وَاهْتَمَّ وَأَصَابَهُ
الْحُزْنُ، وَمَكَثَ أَيَّامًا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ مِنْ
هَوْلِ الْكَارِثَةِ، فَتَشَقَّقَ جِلْدُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَخَرَجَتْ
مِنْهُ الْقُرُوحُ، وَعَادَ إِلَيْهِ الْبَرَصُ الْمُنْفَرُّ.

وَتَمْضِي الْأَيَّامُ فَيَرَاجِعُ فِيهَا كُلُّ مِنَ الْأَبْرَصِ
وَالْأَقْرَعِ مَا كَانَ مِنْ عَهْدِهِمَا أَيَّامَ الْخَيْرِ وَالْعِزِّ، ثُمَّ
يَتَذَكَّرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَيَّامَ الْفَقْرِ وَالْمَرَضِ،

وَيَحِنُّ كُلُّ مِنْهُمَا إِلَى الْجَلْسَةِ تَحْتَ شَجَرَةِ الثُّوتِ
فَلَعَلَّهُمَا يَنْسِيَانِ هُنَالِكَ الْهُمُومَ، وَيَمْشِي كُلُّ مِنْهُمَا
إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ سَابِقٍ، يَصِلُ
الْأَقْرَعُ إِلَى الشَّجَرَةِ وَيَجْلِسُ فِي ظِلِّهَا، وَبَعْدَ بَضْعِ
دَقَائِقَ يَصِلَ إِلَيْهَا الْأَبْرَصُ، يَا لِلْمُفَاجَأَةِ! صَدِيقِي
أَيْنَسُ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ وَيَقُومُ أَيْنَسُ لِيُسَلِّمَ عَلَى بَدْرِ
ثُمَّ يَجْلِسَانِ، وَيَنْظُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ
نَظْرَةً إِشْفَاقٍ وَحُزْنٍ، لَقَدْ رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
صُورَتَهُ فِي شَكْلِ صَدِيقِهِ، وَأَذْرَكَا خَطَأَهُمَا، ثُمَّ
نَظَرَا نَحْوَ الْأَعْلَى إِلَى شَجَرَةِ الثُّوتِ، وَالتَفَتَ بَدْرُ

وَقَالَ لَأَنِيسٍ: تَرَى هَلْ يُذَرِّكُنَا سَعِيدٌ؟ قَالَ أَنِيسٌ:

لَا أَذْرِي لَقَدْ تَأَخَّرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّ قَلْبِي يُحَدِّثُنِي بِأَنَّهُ

سَيَأْتِي، وَعُذْرُهُ أَنَّهُ أَغْمَى كَمَا تَعْلَمُ، لِذَلِكَ يَحْتَاجُ

إِلَى وَقْتٍ أَطْوَلَ لِقَطْعِ الطَّرِيقِ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَنِيسٌ

وَيَذَرُ مِنْهُمَكَيْنِ فِي الْحَدِيثِ، دَنَا مِنْهُمَا رَجُلٌ

وَسَمِعَ بِهِيَ الطَّلَعَةَ سَلِيمُ الْعَيْنَيْنِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا،

وَقَالَ مُدَاعِبًا: أَرَاكُمَا هُنَا يَا صَدِيقَيَّ، لَقَدْ عُذْتُمَا

إِلَى هَذَا الْمَكَانِ بَعْدَ انْقِطَاعِ طَوِيلٍ، فِيمَ غِيَابُكُمَا؟

فَالْتَفَتَا إِلَيْهِ مُتَعَجِّبَيْنِ، وَقَالَا بِتَرَدُّدٍ: أَنْتَ صَدِيقُنَا

الْأَغْمَى؟! .

قَالَ: نَعَمْ لَقَدْ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ إِلَى هُنَا دَائِمًا

مِنْ قَبْلُ، عَلَيَّ أَرَاكُمَا لِنَجْلِسَ مَعًا، وَنُعِيدَ

ذِكْرِيَّاتِ أَيَّامِنَا، وَنَحْنُ فِي حَالَةٍ مِنَ الْغِنَى

وَالصُّحَّةِ، لَكِنْ كُنْتُ آتِي فَأَجْلِسُ وَخَدِي ثُمَّ

أَعُودُ إِلَى عَمَلِي.

قَالَ بَدْرٌ: أَنْتَ عَلَى أَحْسَنِ حَالٍ وَقَدْ كُنَّا

مِثْلَكَ نَزْفُلٌ فِي النِّعَمِ، وَلَكِنْ..

وَقَالَ أَنِيسٌ: كُنَّا نَتَوَقَّعُ أَنْ نَرَاكَ عَلَى

حَالِكَ السَّابِقِ، فَقِيرًا أَعْمَى، إِنَّمَا عَجِيبُ أَمْرِكَ

يَا سَعِيدُ! قَالَ سَعِيدٌ: لَا تَعْجَبَا يَا صَدِيقَيَّ،

لَقَدْ حَبَانِي اللَّهُ بِالنِّعَمِ فَشَكَرْتُ، وَزَادَنِي فَزِدْتُ
حَمْدًا وَشُكْرًا، وَتَصَدَّقْتُ عَلَى الْفُقَرَاءِ
وَالْمُحْتَاجِينَ، لِأَنَّ الْمَالَ مَالُ اللَّهِ، اسْتَخْلَفَنِي
عَلَيْهِ فَحَفِظْتُهُ، وَأَدَيْتُ حَقَّهُ، وَلَمْ أَبْخُلْ فِي
الْإِنْفَاقِ عَلَى مَشْرُوعَاتِ الْخَيْرِ، وَيَبْدُو لِي أَنَّكُمْ
بَخِلْتُمْ وَلَمْ تَتَصَدَّقَا، بَلْ أَنْكَرْتُمَا فَضَلَ اللَّهِ
عَلَيْكُمَا وَرَزَقَهُ لَكُمَا، عِنْدَمَا كُنَّا فُقَرَاءَ، لَمَّا
الْأَغْنِيَاءَ لِتَقْصِيرِهِمْ، أَفَبَخِلُ عَلَى الْفُقَرَاءِ عِنْدَمَا
أَصْبَحْنَا أَغْنِيَاءَ وَنَحْنُ الَّذِينَ عَرَفْنَا مَرَارَةَ الْفَقْرِ؟
لَقَدْ امْتَحَنَنَا اللَّهُ أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ، سَقَطْتُمَا،

وَنَجَحْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ثَبَّتَنِي عَلَى شُكْرِهِ
وَحَسَنَ عِبَادَتِهِ.

وَهُنَا دَمَعَتْ عَيْنَا كُلُّ مَنْ بَذَرَ وَأَنِيسَ،
وَهَذَا بِرَأْسَيْهِمَا تَأْسُفًا وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً، وَفِي هَذِهِ
الْأَثْنَاءِ سَقَطَتْ بِالْقُرْبِ مِنْ سَعِيدٍ بَضْعُ حَبَاتٍ مِنَ
التُّوتِ، فَالْتَقَطَهَا وَوَضَعَهَا فِي فَمِهِ، وَهُوَ يَقُولُ:
شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ، وَأَنْصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ تُلَاحِظُهُ
عُيُونُ رَفِيقَيْهِ الْمُفْلِسَيْنِ..

